دراسات الأدب المعاصر، السنة الحادية عشرة، شتاء ۱۳۹۸، العدد الرابع والأربعون: صص ۹۵- ۱۲۵

استدعاء شخصيّات التراث الدينى فى قصائد مظفر النوّاب

مهدی شاهرخ*

ابوالحسن امین مقدّسی**

تاریخ الوصول: ۹۸/۲/۳۱

تاریخ القبول: ۹۸/۸/۲۵

الملخص

يميل الشعراء العرب نحو استخدام استدعاء الشخصيّات للإفصاح عن رؤاهم وأفكارهم وأحاسيسهم للمتلقّى. *مظفر النوّاب* شاعر عراقى من روّاد الشعر العربى المعاصر؛ تأثّر بالفكر الماركسى وكان له أنشطة سياسيّة نتيجة عضويّته فى الأحزاب الماركسيّة. يهدف هذا البحث دراسة فنّ استدعاء شخصيّات التراث الدينى فى قصائد *مظفر النوّاب* ولأجل ذلک تم استقصاء جميع ما ورد من الشخصيّات الدينية المستدعاة فى قصائده ثمّ درس هذه المقاطع الشعريّة كلّها بمنهج وصفى- تحليلى. تشير نتائج هذه الدراسة إلى أنّ *النوّاب* رغم ماركسيّته وانتسابه إلى الحزب الشيوعى العراقى، لم يترک التراث الدينى بل تأثّر به واستخدم رموزه واستدعى شخصيّاته فى شعره فى تناص موازٍ أم معكوس ومقصوده من استدعاء هؤلاء، التعبير عن مواقفه تجاه المواضيع السياسية والوطنية الهامة لدى الشعوب العربية لاسيّما مقارعة استبداد الحكام العرب المتخاذلين ودفاعه عن القضية الفلسطينية.

الكلمات الدليلية: التراث الدينى، الأنبياء، صحابة الرسول (ص)، استدعاء الشخصيّات.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

* أستاذ مساعد فى فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة مازندران، ایران. m.shahrokh@umz.ac.ir

** أستاذ فى فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، ایران. abamin@ut.ac.ir

الكاتب المسؤول: مهدی شاهرخ

المقدمة

«التراث هو ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات و تجارب وفنون وعلوم فی شعب من الشعوب، وهو جزء أساس من قوامه الاجتماعی والإنسانی والسیاسی والتاریخی یوثق علائقه بالأجیال الغابرة التی عملت علی تکوین هذا التراث وإغنائه وإنّ ارتباط الشاعر العربی بتراثه ارتباط وثیق وعلاقته به علاقة وطیدة ولها أهمیة کبیرة لأنّه یستمدّ موضوعاته الشعریة منه لیخلق واقعاً جدیداً ممزوجاً به»(جمشیدی وکیانی، ۱۳۹۶ش: ۸۲). لا شک أنّ بین أقسام التراث، یکون «التراث الدینی فی کلّ العصور ولدی کلّ من الأمم مصدراً سخیاً من مصادر الإلهام الشعری حیث یستمدّ منه الشعراء نماذج وموضوعات وصوراً أدبیة حیث شکّل التراث الدینی مرجعیة دلالیة لها حضورها القوی والفعّال فی القصیدة العربیة المعاصرة»(سیاحی وگل مغانی‌زاده، ۱۳۹۳ش: ۲۸).

نقصد باستدعاء الشخصیات، «الإشارة إلی حدث أم اسم أو قصّة مشهورة من دون أن یتمّ شرح هذا الإسم داخل النصّ أو فی هامش الصفحة إنما یدع للقارئ حریّة استحضار هذا الإسم أو تلک القصّة»(ناهم، ۲۰۰۴م: ۹۴)، إذ یتوجّه الشاعر إلی جمهوره أو متلقّیه لیشارکوه بعض تجاربه أو ثقافته فأکثر شخصیّات هذا اللون من التناصّ منبثقة من التراث لأنّ الارتباط «بالتراث لیس تخلّفاً وإنمّا هو منطلق التجدید ویمثّل مرحلة من مراحل التکوین الفکری التی یمرّ بها الإنسان»(مطلوب، ۲۰۰۴م: ۳۸۳). فلم یکن هذا القسم من التناصّ والتعامل مع الرموز التراثیّة مقتصراً علی الشعر المعاصر، بل هناک أشعار کلاسیکیّة عربیّة فیها هذه الظاهرة متأصّلة راسخة حیث إنّ «الشعراء العرب کانوا یلتفتون إلی الوراء ویستدعون الأشکال وبعض الشخصیّات علی نحو ما فعل *النابغة الذبیانی* فی استدعاء شخصیّة زرقاء الیمامة»(بدوی، ۱۹۹۸م: ۶۴) بید أنّ الشعر المعاصر یتفوّق من حیث الکمّ علی القصیدة القدیمة فی استدعاء الشخصیّات التراثیّة بل غدا الموضوع فی القصیدة الحدیثة(عطیّة، ۲۰۰۵م: ۹۸). «یعدّ استخدام الرمز من أبرز الظواهر الفنیة فی حرکة الشعر العربی المعاصر فقد لجأ العدید من الشعراء المحدثین إلی استخدامه للتعبیر عن تجاربهم وأفکارهم وعواطفهم، فاستخدام الرمز فی الشعر الحدیث سمة مشترکة بین الشعراء علی مستویات متفاوتة» (باقری وامیری وجاهد، ۱۳۹۳ش: ۱۰). لاستدعاء الشخصیّات فی الأدب العربی أبعاد موحیة حیث یمیل الشعراء العرب نحو استخدام هذا

الفنّ الشعرى للإفصاح عن رؤاهم وأفكارهم وأحاسيسهم للمخاطب. الشاعر العربى يستفيد من هذا الفنّ كى يحوّله إلى وسيلة للتبيان والاستلهام والتعبير عن وجهاته الحداثيّة(عشرى زايد، ١٩٩٣م: ١٥).

استطاع *مظفر النوّاب* بفضل قصائده اليساريّة ذات الطبيعة الثوريّة، أن يحصل على منزلة لا يُستهان بها بين العرب، حيث شهرته لم يقتصر على العراق بل أثّر على العالم العربى بأكمله؛ إذ *مظفر النوّاب* من شعراء المنفى العراقيّين الذين لهم مكانة مرموقة بين العرب لاسيّما عند محبىّ القصائد السياسيّة، فحفظ الكثيرون بعض قصائده الشعبيّة ولحّنوها وغنّوها فحفظتها قلوبهم وما زال زمناً طويلاً. الشاعر يسارى فى توجّهه السياسى وانتماءاته الحزبى، وواقعى فى مذهبه الأدبى، ومتّجه نحو الشعر الحرّ واستخدم الكثير من الفنون الجديدة والأساليب الحديثة فى الإنشاد الشعرى.

ولكن ثمّة سؤال فى ذهن قارئ المقالة، لماذا *النوّاب* بالتحديد؟ لأنّه من روّاد الأدب المعاصر فى الأدب العربى، تأثّر بالفكر الماركسى وله أنشطة سياسيّة نتيجة عضويّته فى الأحزاب الماركسيّة ووجود الكثير من المواضيع المتعلّقة بفنّ التناصّ عامّة واستدعاء الشخصيّات التراثيّة خاصّة فى أشعاره؛ إذ إنّه رغم ماركسيّته لم يترك تراثه الإسلامى والشيعى منه بل تأثّر به واستخدم واستدعى رموزه فى أشعاره. ولا شك أنّ دراسة هذا الفنّ الأدبى الحديث فى شعره، تُساعدنا فى تذوّق أكثر لأشعاره.

لترعرع *النوّاب* فى بيت ملتزم دينيّاً أثره على أشعاره حيث أنّه بدأ دراساته الإبتدائيّة فى المكاتيب بتعلّم القرآن وكان يحفظ فى صغره الآيات القرآنيّة فى العطلة الصيفيّة، ورأى منذ نعومة أظفاره الخيول والمواكب الحسينيّة والبيارق تدخل بيتهم الأرستقراطى، وتخرج منه؛ لذلک نما فيه منذ الصغر حبّ أهل البيت ونهضة عاشوراء بما فيها من المعانى العظيمة والعظمة والصمود وعدم الرضوح للطغاة والجبابرة فامتلأ كيانه من هذه المفاهيم والقيم حيث اختلطت بما تعلّمه من التعاليم القرآنيّة منذ الصغر فى مساعدة الفقراء والذود عن حقوق المستضعفين فى جميع البلاد العربية والإسلامية(يحيى، ٢٠٠٥م: ١٣). فلذلک يستخدم *النوّاب* التراث الإسلامى ووظّف أسماء عديدة من الأنبياء وصحابة الرسول(ص) وراح يشكو لهم رجس أعمال الحكام العرب الظالمين الذين يحكمون الشعوب العربيّة بيد من الحديد. *فالنوّاب* الشاعر الماركسى الذى انتهل معانى

ثورته وعمله النضالی من رموز التراث الإسلامی لأنّهم يتشابهون دائماً فی الـرؤی والإقـدام حسب اعتقاده، وإن اختلفت المعتقدات ومن هنا تراكم استدعاء رموز التراث الإسلامی فی شعره الماركسی. ولا غبار فی ذلک علی *النوّاب* حيث استهلّ رمـوزه وأبطالـه مـن التـاريخ والتراث العريق الذی ترسّب فی لاوعيه منذ نعومة أظفاره فی الكاظميّة لاسيّما أنّ *النـوّاب* مثل الشعراء الجاهليين لسان القبيلة فی عصرنا الـراهن للـدفاع عـن القضـيّة الفلسـطينيّة وتناول الملفّ العراقی والثورات الشعبيّة ضدّ الطغاة والديكتاتوريين فكلمته سيف يذود بـه عن مفاخر قبيلته العربيّة الكبيرة.

أسئلة البحث

هدف هذا البحث هو دراسة فنّ استدعاء شخصيّات التراث الإسلامی فی قصـائد *مظفـر النوّاب* ولكن للوصول إلی هذا الهدف، علينا أن نجيب عن الأسئلة التالية:

١- ما هی الرموز وشخصيّات التراث الإسلامی التی استخدمها *النوّاب* فی قصائده؟

٢- لماذا أورد *النوّاب* هذه الرموز فی موسوعته الشعريّة ولماذا استدعاها فی شعره؟

٣- ما هی سمات هذه الرموز المستدعاة فی شعر *النوّاب* وما هی نقاط ارتكـاز *النـوّاب* علی هذه الشخصيّات؟

ولأجل الإجابة عن هذه الأسئلة استقصينا جميـع مـا ورد مـن الشخصـيات الإسـلامية المستدعاة فی قصائده ثم ذكرنا هذه الأشعار ودرسناها كلّها فی ثلاثة محاور رئيسية وهی:

١- الأنبيـاء ومـن محاورهـا الفرعيـة: *محمّـد رسـول الله(ص)، آدم(ع) وأيّـوب(ع) ويعقوب(ع) وابنه يوسف(ع)، ونوح(ع)، وزكريّا(ع)، وعيسی المسيح(ع).*

٢- وصحابة الرسول(ص) ومن محاوره الفرعية: *أبوذر الغفاری وأبوموسی الأشعری.*

خلفية البحث

هناک دراسات جيّدة فيما يتعلّق بدرس شعر *مظفر النوّاب* بحث مؤلّفوها أشعار *النوّاب*، ورغم أنّ بعضهم درسوا أنواع التناصّ فی شعره، فلم يتطرّقوا إلی استدعاء الشخصيّات فـی شعره. من هذه الدراسات القريبة إلی استدعاء التراث فی شعر *النواب*، يمكن الإشارة إلـی: *لؤی كريم عطية* تناول فی مقاله «التناص فی شـعر مظفـر النـوّاب»(المنشـور فـی مجلـة

القادسية فی الآداب والعلوم التربوية، ۲۰۰۵م) بـذكر بعـض نمـاذج اسـتدعاء الشخصـيات التراثية فی شعر *النوّاب* كقسم من مقالته، ولكن بما أنّ موضوع مقالته كان إظهار التنـاصّ فی شعر *النوّاب*، والتناصّ أشمل من استدعاء الرموز التراثية فلم يتطرّق كثيراً لهذا الأمر.

أشار *صادق المخزومی* إلى بعض الشخصيّات المستدعيّة فی شـعر *النـوّاب* فـی مقالتـه «الرمز الإسلامی فی شعر مظفر النوّاب»(المنشور فی موقع النـور، ۲۰۰۹/۱/۱۲) بيـد أنّـه تناول الموضوع من حيث الرموز لا من حيـث اسـتدعاء الشخصـيات. فإنّـه رغـم الميـزات الجيّدة الكثيرة فی دراسته لم يتطرّق إلى جميع الرموز الموجـودة فـی شـعر *النـوّاب* ثـمّ كلامه فی الموضوع موجز وقليل جداً.

هناک دراسات جيّدة فيما يتعلّق بدرس شعر *مظفر النوّاب* بحث مؤلّفوها أشعار *النوّاب*، ورغم أنّ بعضهم درسوا أنواع التناصّ فی شعره، فلم يتطرّقوا كثيـراً اسـتدعاء الشخصـيّات فی شعره. من هذه الدراسات يمكن الإشارة إلى: أشار *باقر ياسين*، فی كتابه القيّم «مظفـر النوّاب حياته وشعره» إلى الرموز التراثية فی شعر *النوّاب* بشكل موجز جداً فـی أقـلّ مـن صفحة.

بحث *جهانگير اميری* و*سعيد اكبری* فی مقالتهما «بررسی درون مايه های شـعر مظفـر النوّاب» مواضيع شعر *النوّاب* ولم يهتمّا بالرموز التراثيّة فی شعره.

أشارت *نرگس انصاری* و*طيّبة سيفی* فی مقالتهما «الرمزيّة فی شـعر عاشـوراء، دراسـة مقارنة بين الشعر العربی والفارسی المعاصرَين» وتطرّقتا إلى عدّة أبيات *للنوّاب* عن *الإمـام الحسين* بشكل موجز جداً حيث عنوان المقالة لم يسمح لهما أكثر من ذلک.

كما تناول *مرضية آباد* و*بلاسم محسنی* فی مقالتهما «التناص القرآنی فی شـعر مظفـر النوّاب» التناصّ القرآنی ولم تطرّقا إلى استدعاء الشخصيات التراثية.

عبـدالعلی آل‌بويـه لنگـرودی و*نـرگس انصـاری* أشـارا فـی مقالتهمـا «سـيمای امـام حسين(ع) در شعر عاشورايی معاصر فارسی و عربی با تكيه بـر اشـعار برجسـته شـاعران سده اخير» إلى أبيات قليلة *للنوّاب* فی *الإمام الحسين* حيث عنوان المقالة لم يسمح لهما أكثر من ذلک أيضاً. أشار *سيّد علی رضا حجازی* و*مرضية محمّـدزاده* أيضـاً فـی مقالتهمـا «بازتاب حماسه عاشورا در شعر بعضی از شعرای عرب زبان» إلى بضع أبيات *للنـوّاب* فـی *الإمام الحسين*.

درس *حسن دادخواه* و*ناصر تابع جابری* فی مقالتهما إلی «مظاهر المقاومة فی شعر مظفر النوّاب» فلم تطرّقا إلی ذکر الشخصیات المستدعاة فی شعر *النوّاب* وركّزا علی إظهار مظاهر المقاومة فی شعره.

فوزیة لعیوس غازی الجابری کتبت فی مقالتها «المرأة فی شعر مظفر النوّاب: دراسة فنیّة وموضوعیّة» عن المرأة فی شعر *النوّاب* فلم یکن له مجال کی یتطرّق إلی استدعاء الشخصیّات التراثیّة.

تناولت *طاهره گودرزی* فی مقالتها «طنزپردازی مظفر النوّاب وعلی اکبر دهخدا» السخریّة والفکاهة فی شعر *النوّاب* مقارنة بشعر *دهخدا* فی الفارسیة فلم أجد کلاماً عن استدعاء الشخصیات فیها.

تحدّث *فرامرز میرزایی* فی مقاله «قیام امام حسین(ع) و شعر معاصر عربی» عن *الإمام الحسین* فی شعر العربی المعاصر فلم یتطرّق إلی شعر *النوّاب* إلّا فی صفحتین أو ثلاث وکان عمله فی هذه الصفحات أیضاً ذکر نماذج من أشعار *النوّاب* وبیان المضامین الموجودة فیها عن *الإمام الحسین* بشکل موجز جداً.

هذه الأبحاث لم تدرس أشعار *النوّاب* من حیث استدعاء شخصیّات التراث الإسلامی بشکل علمی دقیق، ومن هنا أهمیّة هذه المقالة وضرورتها؛ إذ دراسة هذا الجانب من أشعاره- کما مرّ ذکره- تُساعدنا علی فهم قصائد *النوّاب* وهو من کبار الشعراء العرب المعاصرین، بشکل أعمق وأدقّ.

الشخصیّات الإسلامیة المستدعاة فی القصائد النوابیّة

للتناصّ فی أشعار *مظفر النوّاب* أشکال شتّی واستدعاء الشخصیّات الإسلامیة والتراثیّة إحدی هذه الأقسام. لذلک نری بأنّ للرموز الإسلامیة والتراثیّة مشارکة کبیرة فی أشعاره. «أصبح للتراث الدینی والشخصیّات التراثیّة والأمکنة دور بارز فی شعره... إذ یعدّ الشاعر فی هذا المجال من روّاد الشعراء الحداثیین الذین اختطّوا وأصّلو هذا الشعر الجدید الذی اختطّ تقنیات جدیدة وصوراً وموسیقی ولغة وبنیة جدیدة من ضمنها التناصّ، معتمداً علی موهبة فذّة وموقف أصیل تجاه قضایا الأمّة الإسلامیّة والعربیّة فأصبح شاعر القدس والإنسانیّة ونصیر کلّ الشعوب المضطهدة فی العالم ونذر حیاته مشرّداً فی أصقاع المعمورة

إلى أن استقرّ المقام به واضعاً عصاه فـى دمشـق»(آبـاد ومحسـنى، ١٣٩٠ش: ٢). لـذلک يستخدم *النوّاب* التناصّ عامّةً واستدعاء الشخصيّات- الذى هـو نـوع مـن أنـواع التنـاص- خاصةً لتبيان هذا الاضطهاد والتشرّد، «*فللنوّاب* وقفة مميّزة مع استيحاء الرموز التراثيّة فى هذا اللون من التناصّ، إذ يعمد إلى شخصيّات كان لها ثقلها فـى رسـم خارطـة الإنسـانيّة بقطبيها الإيجابى والسلبى، إذ يمكن نسيّرها فى محـورين: الأول مـا يمثـل منهـا مواقـف جليلة خلّدها التاريخ لما انمازت به من التضحية والتعلّق بالمبادئ التى تذبّ عنها والثـانى ما يمثّل شخصيّات انمازت بخيانتها لتراث الأمّة الإسلامى وتقاعسها فى نصرة الدين، ولعّل هذا ما يفسّران *مظفر النوّاب* أراد أن يستفيد من هذين النوعين من الشخصيّات لمعالجـة أو نقد الواقع العربى الذى يراه منكسراً تجاه قضايا القوميّة العربيّـة»(عطيّـة، ٢٠٠٥م: ٩٨). فحسب اعتقاد *النوّاب* «الحضارة العربيّـة الإسـلاميّة هـى تفعيـل ثـورة الإسـلام المتمثّلـة بالرسول محمّد*(ص)* و*على(ع)* وكبار الصحابة فى الكيان العربى وما يحفل بـه مـن أخـلاق وعادات، وظلّ هذا التمازج أربعة عشر قرناً يـذكو حينـاً ويخبـو آخـر. ولا ريـب أن يـؤمن الشاعر بالتأريخ الناصع بالثورة فيرى أنّ الحضارة العربيّة الإسلاميّة لم تقهر بعد وإن مـرّت بسبع قرون سمان وسبعة عجاف، ولذا ينبغى علـى الأجيـال المعاصـرة أن تتقبّلهـا بـروح رياضيّة وتعرف أصول اللعبة الحضاريّة وإنّه يعتقد أنّ حضارة الأمّـة لـم تهـزم كجبهـة وإن اختراقات حصلت وأصوات انهزمت، ومن ثمّ أنّ ترميمها لايأتى التمزّغ بوحل التـاريخ، بـل من التعلّق بصرح التراث ولكن على نهج التصحيح وردّ الاعتبار ونفض الغبار عن الحقيقـة» (المخزومى، ٢٠٠٩م: ٣٦).

النوّاب يتمعّن فى جرح التراث ويوظّف رموز التراث الإسلامى والشـيعى خاصّـة فأئمـة أهل البيت(ع) فى أشعار *النوّاب* أياد الحق وأقطاب الثورة، لذلک يشير إلى أحداث الخلفـاء الراشدين وميلهم إلى الأغنياء وتسييس قميص *عثمان* إثر ثورة الأمصار ضدّه إبان انتخـاب الخليفة بعده حقاً من المعارضة والفقراء، لـذلک يقـرأ *النـوّاب* التـاريخ الإسـلامى بقراءتـه الخاصّة الماركسيّة فيشير *النوّاب* إلى ذلک فى قصيدة «من الدفتر السليل» ويقول:

«يَلُومُونَ أنّى أنفَخُ نارَ التُّراثِ/ أنا أرفُضُ الخُردَواتِ مِن الفُقَراءِ/ وَلِى أُمَّةٌ طالَما كلُّ نـاسٍ لَهُم مُدية/ لُغَةٌ، طالَما لُغَتى تُشعِلُ الأبجَدِياتِ عِشقَاً»(النوّاب، ١٩٩٦م: ٤٥٣)

نرى بعض الشخصيّات الإسلامية والتراثيّة فى أشعار *النوّاب* يستدعيهم لتعزيز الأبعاد الجماليّة والأدبية لنصوصه الشعريّة. يتحوّل التراث الإسلامى فى شعره إلى أنواع جميلة للخلق الفنى حيث يُمكننا فهم قدرته على الاستلهام من التراث الإسلامى التاريخى وتجسيد هذا التراث فى تراكيبه وعباراته الشعريّة والذى نستطيع فهم وجهات نظره تجاه الحضارة وإدراكه لرموز الوجود.

يستدعى *النوّاب* من الشخصيّات الإسلامية ما أخلصت للسيف والثورة والفداء، حيث يركز على البُعد الثورى لحياة كلّ منها وفق أفكاره الماركسيّة فيقول فى «وتريّات ليليّة»:

«أنا أنتَمِى لِلجِياعِ ومَن سَيُقاتِل/ أنا أنتَمِى لِلمَسيحِ المجدفِ فَوقَ الصَّليب/ وَقَد جَرح الخلُ وَجهَ الإلهِ عَلَى رئَتَيهِ/ وَظَلَّ بِهِ أَمَلٌ ويُقاتِلُ/ لِمُحمَّدٍ شَرطَ الدُّخُولِ إلى مَكةَ بِالسِّلاحِ/ لِعَلِيٍ بِغَيرِ شُرُوط/ أنا أنتَمِى لِلفَداء/ لِرَأسِ الحُسَين»(نفسه: ٢٣٧)

كما «تشتمل تجربة النوّاب الشعريّة على مساحة كبيرة من هموم الإنسانيّة بعامّة ومن معاناة الشاعر نفسه على سطح الحياة فهو يعلّق قصيدته على صليب التراث، إذ يتقاطع تاريخ الإنسان وحاميه صعوداً ونزولاً وتجربة الشاعر بخاصّة وحركة القصيدة والفنّ يميناً ويساراً، وهذا كلّه يمنح النوّاب فسحة أكبر فى سبر التجربة الإنسانيّة وتوظيف رموز التراث فى صراعها الثنوى وعرض الواقع والمعاناة المعاصرة عليه ليعطى تصوّراً ناضجاً للمستقبل، فالثنائيّة فى الفكر التاريخى كالنور والظلمة والخير والشر تحوّلت عند الشاعر إلى الثورة والإستبداد وما يلبث فيها روحاً وشخوصاً من تجربته الذاتيّة»(المخزومى، ٢٠٠٩م: ٣٨).

هذه الثنائيّة الموجودة فى تصوير المشاهد الشعريّة وتوظيف التراث فيها، يمكن مشاهدتها فى قصيدة «بكائيّة على صدر الوطن» حيث هناك ثنائيّة السجن وما بعد القضبان فعناصر الظلم والاستبداد هى السجن، والجلّاد، والكرسى، والتعذيب، والقيد، والسوط، والقضبان ومن وراء الأضواء أيضاً الحاكم وجلاوزته مقابل عناصر الثورة فى هذا المشهد الشعرى مثل الفلّاحون، و*على*، و*أبوذر*، و*لومومبا*، و*جيفارا*، والشعب، وأمّه، والنخلة، والأنهار. فكما شاهدنا يوظّف *النوّاب* شخصيّات التراث الإسلامى بشكل ناجح عندما يستحضر الموروث الإسلامى الثورى، وهو فى أشدّ حالات الإغماء والإنهيار النفسى نتيجة التعذيب الجسدى الشديد وهذا يدلّ على إخلاصه لهؤلاء الثوريّين. من الشخصيّات البارزة للتراث الإسلامى الذين استدعاهم *النوّاب* فى أشعاره هم:

١.الأنبياء(ع)

تناول القضايا الاجتماعيّة والسياسيّة يشجّع الشعراء دائماً إلى استخدام الرموز المختلفة والمتنوّعة فى قصائدهم، لذلک لا يقتصر الشعراء على استخدام رموز ضيّقة، بل يستفيدون فى قصائدهم من رموز مختلفة وكثيرة لاسيما الرموز الإسلامية. استدعاء الشخصيّات الإسلامية من التقنيّات الشائعة التى يستخدمها الشعراء العرب المعاصرون بكثرة فى أشعارهم. كما يستخدم *مظفر النوّاب* كشاعر سياسى وثورى معاصر هذه الرموز الإسلامية لاسيّما الأنبياء منها بشكل كبير لأنّ للأنبياء شخصيّات مرموقة اجتماعياً ولشخصياتهم دلالات قويّة كما لهم منزلة عالية وشعبيّة كبيرة لدى مختلف أطياف الشعب.

محمّد رسول الله(ص)

لقد حُظيت شخصيّة رسول الله(ص) فى الأدب العربى بإقبال كبير من قِبَل الشعراء فى مختلف العصور، إذ إنّهم مدحوا النبى(ص) لاسيّما فى إطار فنىّ المدائح النبويّة والبديعيّات اللتين كان موضوعهما الرئيس، مدح النبى(ص) بما يتحلّى به من فضائل خَلقيّة وخُلقيّة نبيلة. الشعراء العرب المعاصرون يستخدمون الرمز المحمدى فى سياق شخصيّته التاريخيّة والإسلامية المقدّسة حيث إنّه أسوة ومبشّراً ونذيراً لهم.يستذكر *النوّاب* فى قصيدة «كيف نبنى السفينة فى غياب المصابيح والقمر» الرسول (ص):

«اغسلُوا كعبَةَ اللهِ أيضاً مِن الآثِمين/ قُبيلَ رَحيلِ مُحمَّدٍ مِن قَبرِهِ إلى المَدينَة» (النوّاب، ١٩٩٦م: ٣٣١)

يُشير *النوّاب* هنا إلى قضيّة هجرة النبىّ(ص) والمهاجرين من مكة إلى المدينة فى إشارة إلى المعاناة التى تحملّها محمّد*(ص)* وأصحابه لتثبيت دعائم الدين الإسلامى. فكلمة "قبره" فى شعر *النوّاب* دلالة على هذه المعاناة لأنّ هذه الهجرة كانت بمثابة منعطف فى مصير رسالته، كأنّ مكة المكرّمة كانت تتحول إلى قبره لو لم يرحل منها إلى المدينة.

آدم النبى(ع) وطرده من الجنة

آدم أبوالبشر(ع) وقصّة طرده من الجنة بسبب أكل الفاكهة الممنوعة شهيرة لدى كلّ شخص فى مختلف الديانات، رغم بعض الاختلافات فى نوعيّة الفاكهة ولكن ليس هناک

خلاف فی أنّ الشیطان خدع *آدم(ع)* لیأکل هذه الفاکهة من طریق زوجته *حواء* أمّ البشر ومن ثمّ طُرد هو وزوجته من الجّنة، وجاءا إلی الأرض. الشعراء فی الأدب المعاصر إذا یستخدمون رمز أبی البشر فی الشعر یستخدمونه غالباً فی هذا الإطار التاریخی الإسلامی الأسطوری.

یستذکر النوّاب *آدم النبی(ع)* ویشیر إلی قصّة خروجه مع زوجته *حواء* من الجنّة ویقول:

«لَولا نَدَمَ سَاوَرَ آدَمُ بَعدَ ضِیاعِ جَنَّتِهِ/ لَأندَمَلَ الجُرحُ الطّازِجُ فی حَوّاءَ/ وکانَت جَنَّتُهُ وَحشَتَهُ»(نفسه: ٣٨٣)

کما یشیر إلی قوله تعالی: ﴿وَقُلنا یا آدَمُ اسکن أنتَ وزوجُکَ الجَنَّةَ وکلا مِنها رَغَداً حَیثُ شِئتُما ولا تَقرَبا هذهِ الشَّجَرَةَ فَتَکونا مِنَ الظّالمینَ ۞ فَأَزَلَّهُما الشَّیطانُ عَنها فَأَخرَجَهُما ممّا کانا فیه وقُلنا اهبِطوا بَعضُکُم لِبعضٍ عَدوٌّ ولَکُم فِی الأرضِ مُستَقَرٌّ ومَتاعٌ إلی حین﴾(البقرة/٣٥-٣٦) کما یشیر إلی ندامة آدم ممّا اقترفه فی أکل الثمرة الممنوعة وطرده من الجنّة عقاباً لهذه المعصیّة.

سلیمان النبی(ع)

سلیمان النبی(ع) شخصیّة إسلامیة تراثیّة، له مکانته المرموقة فی أفکار المؤمنین بالدیانات: الیهودیة والمسیحیة والإسلامیة، کما کان له سیطرة کاملة بإذن من الله علی جمیع المخلوقات، وکان یفهم لغات شتی أنواع الحیوانات علی اختلافها وقصّته مع هدهده الشهیر معروفة لدی الجمیع، لذلک یسعی النوّاب باستدعاء شخصیّة *سلیمان النبی(ع)* وهُدهُده الشهیر أن یستفید من هذه القصّة فی سبیل تعزیز آراءه فیما یتعلّق بظروف المجتمعات العربیّة الراهنة ولاسیّما حقوق المرأة علی سبیل التناص المعکوس، حیث هُدهُد سلیمان خلافاً لما نراه فی الأصل الموروث التاریخی، والذی کان یأتی بالخبر الیقین *لسلیمان(ع)*، یعتبر الآن کأنّه امرأة بغیّاً ترید الدفاع عن حقوق البُغاء برقصها بین الجنازات:

«صَرَّحَ سُلَیمانُ یا بُنَیَّ/ وَقَد أرسَلُوا هُدهُداً عالماً بِالنِّساءِ/ إلّا فَافرَحِی یا بَغیّاً تُسمّی/ فَما تِلک الأُخریاتُ مِن القَهرِ حتّی حُقُوقِ البُغاءِ/ أنا فَرِحٌ یا بَغیّاً تُسمّی/ وَأرقُصُ بَینَ الجِنازاتِ/

لَونُ الِجنازاتِ هذا دَميمٌ/ أنا أُمَّهُ الراقِصَةُ البَدَويَّةُ قُدّامَ قاتِلِهَا/ جاءَت السَاعَةُ الصَّعبَةُ/ ما تَملِك الظُلُماتُ سَفيهاً تَنَفَّسَ/ صَمتٌ تَفرخُ فِيه المَآتِمُ»(النواب، ١٩٩٦م: ٢٣٢)

وفى قصيدة «كيف نبنى السفينة فى غياب المصابيح والقمر» يستدعى *سليمان النبىّ(ع)* حيث يشير إلى قدرة *سليمان النبى(ع)* على جميع الإنس والجنّ والحيوانات ويقول:

«وَجاءَ جُنُودُ سُليمانَ/ أيُّها النَملُ فَادخُلُوا لمساكِنِكم»(نفسه: ٣٤٤)

حيث يجعل *لسليمان النبى(ع)* وهو شخصيّة إيجابيّة فى التراث والتاريخ شخصيّة سلبيّة عندما يستدعيه كقائد للصهاينة، ويستدعى جنوده أيضاً كجنود صهاينة لا يهتمون بما يرتكبون من الجرائم تجاه العرب، فرغم أنّ *النوّاب* استخدم نفس الألفاظ القرآنيّة بيد أنّ التناصّ هنا تناصّ عكس حيث استدعى شخصيّة *سليمان النبى(ع)* بشكل سلبى وجعله قائداً لجيش الصهاينة الذين يدوسون الشعب الفلسطينى المظلوم تحت آلاتهم العسكرية المدمّرة، ويرى جنود *سليمان* رمزاً لجنود الجيش الصهيونى الذى لديه قدرات كبيرة على العرب كلّهم لاسيّما الشعب الفلسطينى منهم كأنّهم جنود *سليمان* الذين كان لهم السيطرة على كلّ شىء. ففى هذا النصّ إضافة على استدعاء شخصية *سليمان النبى(ع)* وجنوده، نرى بأنّ النواب يتناص تناصاً قرآنياً أيضاً بالآية الكريمة: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيمانَ وجُنُودِهِ مِنَ الجِنِّ والإنسِ والطَّيرِ فَهُم يُوزَعُونَ ۝ حَتَّى إذا أَتَوا عَلى وَادِ النَّملِ قالَت نَملَةٌ يا أَيُّهَا النَّملُ ادخُلُوا مَساكِنَكُم لا يَحطِمَنَّكُم سُلَيمَانُ وجُنُودُهُ وهُم لا يَشعُرُونَ﴾(النمل/١٦-١٧)

أيّوب النبى(ع)

أيّوب النبى(ع) فى الثقافة العربيّة الإسلاميّة رمز لإنسان صبور تجاه جميع مصائب الدهر وكوارثه حيث يصبر أمام الآلام الجسديّة ومرارة أحداث الدهر، ولا يشكو قربة لله سبحانه وتعالى ولكنّ *النواب* يستدعى هذا الرمز الإسلامى الموروث تناصاً سلبياً حيث يقول:

«أيُّوبُ فى اللّيلِ/ أيُّوبُ فى لحَظاتِ التَفَسُّخِ/ أيُّوبُ يَنمُو/ وَتَأتى الظِّباءُ مِن البَرِّ مُورِقَةً/ جاءَت السّاعَةُ الصّعبَةُ/الصَّعبَةُ الصَّعبَةُ/ وَاقتَحَمُوا/صَاحِبَ القِيَمِ البَربَريَّةِ/ كانَ الجِرادُ الغولىُّ يَأكلُ أقدامَ أيّوبَ/أيُّوبُ مُستَسلِمٌ/ فَتَشُّوا الِجلدَ والحَشَواتِ المليئَةَ بِالسِّلِ والقَملِ/ لا تَتَلَفّت/

أنتَ أيُّوبُ، لاتَتَلَفّت/ وَأغار الجِرادُ عَلَى عَينِ أيُّوبَ/ أيُّوبُ مُستَسلِمٌ/ وَرَأيتُ الجِرادَ يُجَرجِرُ عَينَهُ/ أيُّوبُ مُستَسلِمَاً/ أيُّوبُ فى الموقِفِ الدُّوَلى/ وجَرّارةٌ وَقَفَت فى الخَرابِ تُنَظِّفُ أسنانَها/ أيُّها الرَبُّ/ إنَّ بَقيَّةَ أيُّوبَ تَنبضُ/ قِف بِالخَرابِ/ وكنتُ أراهُم كما السّنديانُ المكابِرُ فى الرَّعدِ»(النوّاب، ١٩٩٦م: ٢٣٢-٢٣٣)

فالنوّاب الذى يُعتبر من داعمى الكفاح المسلّح يهجم على صبر *أيّوب* فى تناصّ معكوس حيث يستدعى *أيّوب النبى(ع)* على خلاف ما نجده فى الموروث الإسلامى: رجلاً صابراً راضياً بما قدر له الله تعالى، ويصوّره *النوّاب* كأنّه رجل مستسلم يقبل الظلم والاضطهاد ولا ارادة له فى مقاومة ظلم الظالم، ويتعذّر بالصبر كذريعة للهروب من المقاومة والاحتجاج على الواقع المزرى كأنّه شبيه بالعرب فى يومنا هذا، الذين يقبلون استبداد حكامهم المتشرذمين وجرائم الاحتلال الصهيونى فى الأراضى المقدّسة بفلسطين ولا يشاركون فى الجهاد والكفاح المسلّح المقدّس دفاعاً عن مقدّساتهم الإسلامية والوطنيّة. لذلک يرى *النواب* بأنّه لا يمكن للإنسان العربى الحالى أن يتخلّق بأخلاق *أيّوب* وعليه أن يثور لتغيير الأوضاع وقلب أنظمة الحُكم المستبدّة الظالمة فكثير من العرب يهربون من المواجهة وقتال العدوّ بذريعة الصبر، كى يتظاهروا بأنّهم ليسوا كسلانين متخاذلين، لذلک يقول بأنّه كلّما كان *لأيّوب*/ الانسان العربى شخصيّة متصالحة مسالمة فلهجوم جيوش الجراد على جسده أكثر وأكبر.

جيوش الجراد هنا رمز للقوّات الذين يحتلّون الأراضى العربيّة الإسلاميّة و*أيّوب* رمز للمواطن العربى الذى يتحمّل صعوبات احتلال بلاده، وأقسام الحقارات ولايقوم بفعل شىء لتغيير الأوضاع وتحرير أراضيه. حيث يعترض *النوّاب* فى هذا المقطع الشعرى على طريقة *أيّوب* المستسلمة التى ترمز منهج المتصالحين مع الكيان الصهيونى أم يكون *أيّوب* رمزاً للذين اختاروا الصمت أمام ضياع حقوق الفلسطينيين لذلک يكرّر عبارة "أيّوب مستسلم". كى يركز على سبب اعتراضه على الطريقة الأيّوبيّة حيث أنّه رغم أنّ الجراد أكل رجليه ونفذ داخل جلده، بيد أنّه لايزال متصالحاً مستسلماً. هذه الصورة الفنيّة مأخوذة من الظروف الراهنة للعالم العربى التى تدخل الكيان الصهيونى فى باطن المجتمع العربى الإسلامى، وصار يتحرّک للأمام ويضرب الإسلام والمسلمين بضربات أكثر وجعاً وتأثيراً بيد أنّ الحكومات والشعوب المسلمة لا تزال تحافظ على منهجها المستسلم ولا تقوم بشىء.

لكن رغم ما قلنا سابقاً، *النوّاب* لا يستخدم شخصيّة *أيّوب النبىّ* ولا يستدعيه على سبيل تناصّ العكس دائماً حيث يستذكر *أيّوب* وصبره وفق ما كان فى حياة هذا النبىّ. يقول فى قصيدة «أيّها القبطان»:

«لم أزل أرجعُ لِلكتابِ والختمَةِ والقُرآنِ طِفلاً/ دائِمَاً ألقاك فى شارِعِنا الفَرعىِّ/ تُـؤوينى مِن الصِّيف العِراقىِّ بِثَوبَيک/ وَتَتلُو صَبرَ أيّوبَ عَلى وَجهى، ولكنَّنى/ مهووسٌ غرامَـاً/ ببُيـوتٍ أذّنَ اللهُ بِأن يُذكرَ فيها/ وَكثيراً هَيَّمَتنى/ ألم نَشرَح/ وَالضُّحى/ يا أُخت هارونَ ولا أمُّک قَـد كانَت بَغيّاً/ وَ زكريّا/ وَسُليمان بن خاطر كانَ صِديقَاً ونَبيَّاً/ وَإمامَا»(نفسه: ٦١)

حيث يذكر فى هذا المقطع الشعرى بعض الآيات القرآنيّة التى حفظها فى المكاتيب البغداديّة عندما كان طفلاً، ويشير إلى صبر أيوب التراثى الإيجابى الظاهر على وجهه فى سبيل تلقّى العلوم الإسلامية وحفظ الآيات القرآنيّة فى طفولته، وأنّه لم يتقاطع مع طفولته ومثل هذه التعاليم الإسلامية الحاضرة فى باله بل يصرّح بأنّ هذه الآيات وهذه الذكريات الجميلة باقية فى عقله وفكره وهو يراجع إليها دائماً.

يعقوب(ع) وابنه يوسف النبى(ع)

قصّة *يعقوب النبى(ع)* وابنه *يوسف النبى(ع)* وُصفت فى القرآن الكريم بأنّها أحسن القصص، حيث كان إخوان *يوسف* يحسدونه بسبب ما يظهر له أبوه من حبّ، لذلک تآمروا عليه وألقوه فى البئر تخلصاً منه والقصّة مشهورة لا تحتاج إلى مزيد من الإيضاح. ولكنّ *يعقوب النبى* هذا لدى الشعراء العرب رمز الحبّ والاشتياق للوصول إلى المحبوب إذ لم يصدق يعقوب النبى(ص)، ولو للحظةٍ وفاة ابنه وراح يبكى له حتى أعميت عيناه واشتعل رأسه شيباً فى احتمال هذه المصيبة العظيمة؛ أمّا يوسف النبى(ع) فى الأدب رمز الجمال والمظلوميّة معاً إذ إنّه تحمّل مشاق مُضنية بعد تآمر إخوته عليه.

يستدعى *النوّاب* شخصيّة *يعقوب النبى(ع)* فى قصيدته «كيف نبنى السفينة فى غياب المصابيح والقمر» حيث يأتى به إلى عصرنا الحالى ويذكر له خدعة إخوة *يوسف*:

«آه يَعقُوبَ/ راقِب بَنيک فَما افتَرَسَ الذِّئبُ يُوسُفَ/ لكنَّهُ الجُبّ/ آهٍ مِن الجُبِّ فِى الأُمّـةِ العَرَبيَّةِ آه...»(نفسه: ٣٤٣)

يستذكر *النوّاب يعقوب(ع)* وابنه *يوسف(ع)* ويصوّر *يعقوب* كأنّه رجل مخدوع تآمر أبناؤه/ إخوة *يوسف* عليه كما يصوّر *يوسف* كمظلوم يتآمر عليه إخوته، فإخوة *يوسف* المستعمرون الجدد وجلاوزتهم فى الوطن العربى الذين يدّعون صداقة الشعوب العربية، ويتظاهرون بأنّهم يشاركونهم فى الانسانية والدين والأخوة، ولكنهم فى نفس الوقت يخفون عداوتهم كأنّهم ذئاب فى ثياب الخروف. كما أنّ *يوسف* الشعب العربى المظلوم لاسيّما الشعب الفلسطينى الذى أصبح ضحيّة لدسائس شياطين الغرب والحكام العرب المأجورين الذين أصبحوا ألعوبة بيد المستعمرين. أمّا *يعقوب* هنا رمز للمقاومين العرب الذين يقاومون فى سبيل تحرير أراضيهم، والدفاع عن مقدّساتهم الإسلامية والوطنيّة *فالنوّاب* هنا يطلب منهم أن يكونوا يقظين كى لا يقعوا ضحيّة دسائس المستعمرين/ إخوة *يوسف*، وألا يصدّقوا ما يتظاهر به هؤلاء بل عليهم التركيز على نيّاتهم ومقاصدهم الدنيئة تجاه العرب والمسلمين. *فالنوّاب* يتناصّ مع القصّة القرآنيّة كى يعبّر عن الأوضاع المأساوية فى الوطن العربى ويحذّر أبناء وطنه العربى الكبير بضرورة الانتباه والحذر أمام المؤامرات والخِدَع حيث يشير باستخدام كلمة "الجبّ" بدل "البئر" إلى الآية القرآنيّة:

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ۝ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَاتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾(يوسف/١٤-١٥)

نوح النبى(ع)

يعرف الجميع قصّة *نوح النبى(ع)* وعمره الطويل البالغ على ألف سنة والذى قضاه فى هداية قومه وإرشادهم حتى أمر الله له بصنع السفينة، والعقاب الإلهى النازل بقومه وبولده الكافر لله سبحانه وتعالى وهذه أيضاً قصّة دينيّة معروفة. أشار *النوّاب* فى قصيدة «كيف نبنى السفينة فى غياب المصابيح والقمر» إلى نوح(ع) ويستذكره بذكر إسمه وقصّة حياته حسبما نجده فى الموروث التاريخ على سبيل التناص الموازى حيث يقول:

«أعُوذُ بِكلِّ العرّافَةِ/ إنَّ الرِّياحَ تُنَبِّئُنى إنَّ طوفانَ نُوحٍ هُناك/ فَابنُوا السَّفينَةَ ماكنَةً» (النوّاب، ١٩٩٦م: ٣٤٨)

فيشير إلى قصّة طوفان *نوح(ع)* وصنع سفينته وهى قصّة تاريخيّة شهيرة لأنّ *النوّاب* يرى أنّ طوفان *نوح* قريب إلينا، وأنّ الظروف المعاصرة والتى يعبرّ عنها بالرياح تُشير إلى

مثل هذا الطوفان القاتل الهائل، لذلک يريد من متلقّيه وهم الشعوب العربيّة أن يبنوا سفينة *نوح* من أجل الحفاظ على حياتهم ولكن بأساليب معاصرة تُناسب عصرنا الحاضر ومشاكله العظمى، حيث يذكر أنّ هذه السفينة يجب صناعتها على شكل ماكينة تهدم قصور الظالمين, وتُزيل رغدهم ورفاهيتهم الحاصلين من سرقة ثروات شعوبهم وليست هذه الماكينة إلا ثورة شعبيّة شاملة ضدّ الطغاة والحاكمين الخونة على مصالح شعوبهم؛ كما يتناصّ هذا النصّ الشعرى مع النصّ القرآنى:

﴿وَلَقَد أَرسَلنا نُوحاً إِلى قَومِهِ فَلَبِثَ فيهِم أَلفَ سَنَةٍ إِلّا خَمسينَ عامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَهُم ظالِمُونَ ۝ فَأَنجَيناهُ وَأَصحابَ السَّفينَةِ وَجَعَلناها آيَةً لِلعالَمينَ﴾(العنكبوت/١٤-١٥)

٢.التراث الإسلامى الشيعى

الإمام على(ع)

من الرموز الدينيّة المستدعاة فى شعر *النوّاب الإمام على(ع)* حيث يريد *النوّاب* من خلال استدعاء شخصيّة *الإمام على(ع)* أن يحرّض الشعوب العربيّة على الظلم والديكتاتوريّة، لأنّ عليّاً لم ينتخبه *النوّاب* من سدة الحُكم والخلافة والطبقات الأرستقراطيّة فى الدين والاقتصاد والسياسة بل استلّه من حشد الفلّاحين العاملين بين النخيل والأنهار، وهذا ليس بعجيب لأنّ عليّاً رغم أسبقيّته فى مرافقة الرسول(ص) فى النهضة الإسلاميّة ورغم أنّه كان من أقدم صحابة الرسول(ص) بيد أنّه كان فلّاحاً حقّاً يُحيى الأرض بزرع النخيل والفلاحة، ولا يملكها بل يعطيها للفقراء فلا يستعمر الأرض ولا يملكها ولا يستأثرها لنفسه، فحسب اعتقاد *النوّاب* اختار الثوّار والشعب الذين ثاروا ضدّ الخليفة المترف، *عليّاً(ع)* كى يضمّد جراحات الناس زمن صدر الإسلام.

أمّا *النوّاب* يستحضر شخص *الإمام على(ع)* فى زمانه الحالى حيث رسم صوراً جميلة من التراث الدينى ومن حالة الاستبداد الفكرى الاجتماعى فى زماننا الحالى، ويلجأ إلى الحضن العلوى كى يؤمّنه من كرسى التعذيب الجسدى والروحى الذى أجلسه عليه جلاوزة الشاه الإيرانى، إذ الثوار كلّهم لدى *النوّاب* شىء واحد وثاروا لهدف واحد حيث يقول فى «بكائيّة على صدر الوطن»:

«وَاحتَشَدَ الفَلّاحُونَ عَلَیَّ وبَینَهُم کانَ/ عَلیٌّ وأَبُوذَرٍ ولُومِمبا وجِیفارا/ لا أَتَذَکّرُ فَالثُّوارُ لَهُم وَجهٌ واحِدٌ فِی رُوحی/ غامَت عَیناىَ مِن التَّعذِیبِ/ تَشَقَّقَ لَحمِی تَحتَ السَّوطِ/ فَحطَّ عَلی رَأسی فِی حُجریه/ وَقالَ تَحمَّل فَتَحمَّلتُ/ وَجاءَ الشَّعبُ فَقالَ: تَحمَّل فَتَحمَّلتُ/ وَالنَخلَةُ قالَت والأنهارُ قالَت»(النوّاب، ۱۹۹۶م: ۱۲)

ففی عقل *النوّاب* الماركسی، هناک تلاحم بین أركان القبح التاریخی أی الدهاء بعرض الفجور بدل الحقّ والعصبیّات القبلیّة بالثأر، وحبّ تولّی السلطة والطبقات التی لا تری الأمور إلّا بعیون مصالحهم المادیّة الضیّقة، وهذه الأركان الثلاثة كانت حاضرة عندما تولّی علیٌّ الحكم وصارت تحاک المؤمرات كی تفشل نجاح عملیة الحكم العلوی وهذا یستمرّ حتی الآن:

«ما زالَت عَورَةُ ابن العَاصِ مُعاصِرَةً/ تُقَبِّحُ وَجهَ التّارِیخِ/ ما زَالَ كتابُ اللهِ یُعَلَّقُ بِالرُّمحِ العَرَبیَّةِ/ ما زَالَ أَبُوسُفیانَ بِلِحیَّتِهِ الصَّفراءَ/ یُؤَلِّبُ باسمِ اللاتِ/ العَصَبیّاتِ القِبَلیَّةَ/ ما زالَت شُورى التُّجارِ تَرى عُثمانَ خَلیفَتَها/ وَتَراک زَعیمَ السُّوقیّةِ/ لَو جِئتَ الیومَ/لَحارَبَک الدّاعُونَ إلیک/ وَسَمُّوک شُیوعِیّاً»(نفسه: ۲۳۱)

ویستدعی *النوّاب* فی هذا مقطع وقعة صفیّن وحوادثه المؤسفة لاسیّما خدیعة رفع المصاحف علی أسنّة الرماح تحدیداً، حیث احتال *معاویة* بعد استشارة *ابن العاص* بتلک الحیلة لوقف الحرب بعد أن أحسّوا قرب نهایتهم، وأنّ الإمام وأصحابه كادوا أن یقضوا علیهم لولا أنّ جیشه انقسم إلی فریقین بعد رؤیة المصاحف مرفوعة وجال بینهم الشک فوضعت الحرب أوزارها(بن مزاحم، ۱۹۹۰م: ۴۷۸-۴۹۴).

ولا شکّ أنّ توظیف *النوّاب* لهذه الحادثة ما هی إلّا من باب شكوی الحال المتردیّة للشعوب العربیّة وما یحیط بها من المكر والخدیعة والتلبّس بلباس الدین، فمن وجهة نظر النوّاب أنّ الحالة السیاسیّة فی تلک الشعوب هی نفس تلک الحالة السیاسیّة التی كانت فی عهد شخصیّته المستدعاة فهو یشكو إلیها تلک الحال التی تعیشها الشعوب العربیّة (موشی، ۲۰۱۱م: ۱۳۴). یقول *النوّاب* بأنّ فی زماننا أیضاً هناک من لا یؤمن بالإسلام إیماناً صادقاً بل لدیهم مخطّطات جاهلیّة حیث یعملون مثل *أبی سفیان* ویثیرون الفِتَن والعصبیّات القبلیّة والطائفیّة الجاهلیّة بین المسلمین والعرب بإسم اللات والحبل والعزی. ثمّ یشیر إلی برلمانات الدول العربیّة ویشبّهها بمجلس اختیار الخلیفة قبل انتخاب *عثمان*

للخلافة، ويذكر اختيار *عثمان* رغم وجود *الإمام على(ع)* الذى يعتبر أصلح الصحابة للخلافة ورغم علمهم بأنّ *عثمان* يستأثر أقاربه لتولّى المناصب بيد أنّهم لا يراعون مصالح الأمة بل يراعون مصالحهم، لذلک يختارون *عثمان* بدل على كى يؤمّنوا مصالحهم الماديّة والدنيويّة وهذا حال البرلمانيين العرب الذين لا يراعون مصالح الشعوب العربيّة مثلما يفكّرون فى مصالحهم الشخصيّة والحزبيّة والفئويّة الضيقّة. ثم يخاطبه كقائد الثوريين ويشرح له الظروف المأساويّة الراهنة وأنّه كيف يعتبر أعداء الإمام سماحته قائداً للمتجوّلين، وإذا يظهر الإمام(ع) الآن يلتحق الذين كانوا يطلبون مرافقة الإمام بالأعداء ويعتبرونه شيوعيّاً منحرفاً كما حدث فى حادثة كربلاء من قبل أهالى الكوفة حيث التحق الذين وقّعوا رسالة دعوة *الإمام الحسين(ع)* إلى الكوفة بجيش الأمويين وشاركوهم فى قتال الإمام(ع). لذلک يقارن *النوّاب* الأوضاع المأساويّة للمسلمين والعرب فى عصرنا الحالى بأحداث صدر الإسلام ويرى بأنّ نفس تلک الأحداث جارية الآن فى عصرنا الحالى. *فالنوّاب* يشحن القارئ/ الإنسان العربى من خلال استدعاءاته تلک ومنها شخصيّة *الإمام على(ع)* ومستوى التثوير فى شعر مظفر *النوّاب* ناتج عن رؤية موضوعيّة للعالم عبر إدراک موضوعى ويكمل *النوّاب* شكواه لشخصيّته المستدعاة بأنّه ما زالت عورة *عمرو بن العاص* معاصرة تُقبّح وجه التاريخ:

«مَا زِلنا نَتَحَجَّجُ بِالبرَدِ وحَرِّ الصَّيفِ/ مَا زالَت عَورَة عَمرو بنِ العَاصِ مُعاصِرَةً/ تُقَبِّحُ وَجهَ التّارِيخِ»(النواب، ٢٠١٠م: ٤٣)

وهنا يستذكر *النوّاب* وقعة صفّين ثانية عندما أراد *الإمام على(ع)* قتل *عمرو بن العاص* لكنّ الأخير أخرج عورته بوجه *الإمام على(ع)* فصرف الإمام(ع) وجهه عنه، والقصّة هذه مشهورة ومذكورة فى أغلب كتب التاريخ(العقّاد، لا تا: ١٧٠؛ وبن مزاحم، ١٩٩٠م: ٤٧٨-٤٩٤).

كما يذكر *النوّاب* فى هذا المقطع الشعرى ذرائع أهالى الكوفة فى عدم اتباع أوامر الإمام(ع) للاستعداد لقتال *معاوية بن أبى‌سفيان*، و*النوّاب* وظّفها فى قصيدته دلالياً ليحاور بها شخصيّته المستدعاة المتمثّلة *بالإمام على(ع)* بأنّه ما زالت هذه العورة معاصرة وهناک الكثير من *عمرو بن العاص* وعورته فى هذا الزمن من المتخاذلين والذين يدّعون الشجاعة وما أن تأتى ساعة الجدّ حتى يولّوا هاربين بأبشع صور الهزيمة. وإن *النوّاب* وظّفه هنا ليشير إلى نكبة ١٩٤٨م عندما انهزم الجيش العربى بأسلحته الفاسدة التى تطلق للخلف

(النوّاب، ۱۹۹۶م: ۴۸۴) «وكانت شرّ هزيمة وخسارة فادحة عسكريّاً وانعكست آثارها نفسيّاً على الشعوب العربيّة»(موشى، ۲۰۱۱م: ۱۳۳).

ما يُريده *النوّاب* من خلال هذه الاستدعاءات، الشكوى من الظروف المأساويّة الراهنة. حيث يشكو إلى *الإمام علی(ع)* صمت الشعوب العربيّة تجاه ضياع حقوقهم التی اغتصبت ولا يزال يتحمّلون آلام الهزيمة ومشاكلها. لذلک باعث *النوّاب* من استدعاء شخصيّة *الإمام علی(ع)* باعث حقيقی حيث جعلته الحروب الخاسرة المتتالية للشعوب العربيّة وخمولهم أن يرجع إلى الماضی، ويستحيی مدينته الفاضلة المنشودة وأن يستذكر أمجاد العرب القدامی:

«فی تِلکَ السَّاعَةِ/ تَستَجلِی أمجادُ مُلُوکِ العَرَبِ القُدَماءِ»(النوّاب، ۱۹۹۶م: ۴۵۰)

لأنّه يری من واجب كلّ انسان عربی استذكار هذه الأمجاد العربيّة الإسلاميّة كی يتأمّل فی هؤلاء الأشخاص وأدوارهم فی سبيل تعزيز قدرات الدولة الإسلاميّة، وهذا هو الذی شجّعه على استدعاء الشخصيّات الدينيّة العظيمة فی نصوصه الشعريّة لأنّ إزالة آثار الهزيمة وتهيئة الأجواء والأرضيّات للثورة تحتاج إلى إعادة تفكير فی الأسس الفكريّة والاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة للمجتمع كما «فهم النُخَب العرب بعد نكسة ۱۹۶۷م أنّ العودة إلى الجذور ضرورى لا فقط للعودة إلى النفس والتفاخر بالأجداد وماضيهم، والحنين الرومانسی إلى إحياء القديم بل لإعادة تقييم النفس فی الماضی والذود عن التراث وميزاته البارزة»(وتار، ۲۰۰۲م: ۱۲)

يعتبر *النوّاب الإمام علی(ع)* فی مقطع شعری آخر إماماً يوضّأ بالسيف قبيل طلوع الشمس بيد أنّ الشعب العربی المتخاذل يوضّؤون بالذّلة، ويمسحون ثياب النفاق والتزوير لهم بحدّة سيوفهم حيث لا تخرج سيوفهم من الغمد حتی فی ساعة الجدّ وله ميزة استعراضيّة فحسب:

«لِلخَطِّ الكُوفیِّ يَتِمُّ صَلاةُ الصُّبحِ/ بِإفريزِ جَوامِعِها/ لِشوارِعِها/لِلصَبرِ/ لِعَلیٍّ يَتَوَضَّأُ بِالسَّيفِ قُبيلَ الفَجرِ/ أنَبّيکَ عَليّاً!/ ما زِلنا نَتَوَضَّأُ/ بِالذُلِّ/ وَنَمسَحُ بِالخِرقَةِ حَدَّ السَيفِ»(يعقوب، ۲۰۱۰م: ۴۶-۴۷)

ثمّ يُشير فی مقطع آخر إلى حادثة الجمل فی عصر حكم *الإمام علی(ع)* وخروج بعض الصحابة من بيعة الإمام (ع) مع *أمّ المؤمنين عائشة* ويقول:

«مِن أينَ سَندرِی أنَّ صَحابِيّاً/ سَيَقُودُ الفِتنةَ فی اللَيلِ بِإحدی زَوجاتِ مُحَمَّدٍ»(النـوّاب، ١٩٩٦م: ٥٤٧)

فهذا المقطع يشير إلى معركة الجمل وقوله "صحابيّاً" ربما يُقصد بـه إنّ الـذين قـاموا بتلك المعركة أو الفتنة كما وصفها، هـم صـحابة للرسـول حيـث أنّ *طلحـة* و*الزبيـر* همـا صحابيّان، ومعهم من اتفق على الخروج للبصرة للمطالبة بدم *عثمان* وهناک التقوا *بعائشـة* إحدی *زوجات محمّد(ص)*. يريد *النـوّاب* مـن خـلال اسـتدعاء هـذه الشخصـيّات تقريـب وجهات نظره إلى أذهان متلقّی شعره کی يری القارئ ما رآه *النوّاب* فی القضايا المعاصـرة. فالصراع القائم بين الحقّ والظلم وبين الثـورة والاسـتبداد يجعلـه يوظّـف التـراث الـدينی للتعبير عن ذلک حيث يذکر سيف *علی(ع)* ورأس *الحسين(ع)* الذی يصوّره کرأس الثـورة فی حرب غير متکافئ، وقاتل *علی(ع)* فی الصباح الباکر فی صلاة الفجر ويجعل القاتل هذا رمزاً للحاکم العربی المستبدّ وما فعل بأهل بيت النبی(ص) فی کربلاء والشـام کمـا يـذکر جيوش الردّة ويشکو لامباليّة الشعب العربی وغيابه وسط هـذا الإسـتذکار التـاريخی منـذ صدر الإسلام حتی الآن بين الکوفة وکربلاء إلی فلسطين ويقول فی «وتريّات ليليّة»:

«مَاذا يقدحُ فِی الغَيبِ؟/ أسَيفُ عَلیٍّ؟/ قَتَلَتنا الرِّدةُ يا مَولایَ/ کمـا قَتَلَتـک بِجُـرحٍ فـی الغرّةِ/ هَذا رَأسُ الثَّورَةِ/ يُحمَلُ فِی طَبَقٍ فـی قَصـرِ يَزيـدَ/ فَيـا للهِ وِللحُکّـامِ ورَأسِ الثَّـورَةِ» (نفسه: ٢٣٣)

وهکذا «کان لاستدعاء *النوّاب* لشخصيّة *الإمام علی(ع)* استدعاء بلور من خلاله أنّه مـن أهمّ الشخصيّات التی ترکت بصماتها علـی التـاريخ العربـی والإسـلامی، والـدور الإيجـابی والقيادی ويدلّ علی تلک الإيدئولوجيّـة التـی يصـرّح بهـا *النـوّاب* مـن خـلال شخصـيّته المستدعاة فنجده يأخذ بالحوار والشکوی معها»(موشی، ٢٠١١م: ١٣٣).

الإمام الحسين(ع)

من رموز التراث الدينی المؤثّرة فی شعر النوّاب *الإمام الحسين(ع)* سيّد الشهداء حيـث استفاد *النوّاب* منه فی مقارعة الأنظمة المستبدّة والحکّام الظـالمين، والـذود عـن القضـيّة الفلسطينيّة لأنّ *الإمام الحسين(ع)* عند *النوّاب* قدوة متکاملـة للثـائر المـدافع عـن الحـقّ لذلک يطلـب *النـوّاب* مـن الثـوّار العـرب الشـباب أن يقتـدوا بالإمـام(ع) فـی الـذود عـن

المعتقـدات ومقارعـة الظلـم والديكتاتوريـة. اسـتطاع *النـوّاب* أن يـدخل شخصـيّة *الإمـام الحسين(ع)* فی بنائه الشعری کی تتناسب ورغبته الشديدة الملحّة للإفصاح عن أهمّ أبعاد رؤيته الشعريّة أی الخلاص من الأزمة الحاليّة.

وعندما يصل النوّاب إلی مرقد *الإمام الحسين(ع)* لا يبکی لأنّ الإمام(ع) حسب اعتقـاد *النوّاب* يأبی بکاء الرجال، ثمّ انتقلت مظلوميّة الإمام (ع) فی عصرنا الحـالی إلـی فلسـطين فی نظر *النوّاب* حيث يوازی فی شعره بين رأس الإمام(ع) ورأس فلسطين موازنـة جميلـة وينشد:

«لَستُ أبکی/ فَإنَّک تَأبی بُکاءَ الرِّجالِ/ وَلکنَّهـا ذَرَفَتنِـی أمـام َالضَـريح، عُيـونِی/ يُطـافُ بِرَأسِکَ فَوقَ الرِّماحِ.../ وَرَأسُ فِلسطينَ أيضاً يُطافُ بِهِ.../ فِی بِـلادِ العُرُوبَـةِ»(النـوّاب، موقـع صحيفة البيّنة الجديدة: ۲۰۱۱/۱۲/۳)

يتورّق *مظفر النوّاب* فی قصيدة «وتريّات ليليّة» کتاب التاريخ الإسلامی ويحزن عنـدما يشاهد رأس *الحسين(ع)* محمولاً فی طبق إلی قصر يزيد، لکنّ الذی يحزنه أکثر مشـاهدة الأوضاع العربيّة الراهنة حيث يجعله يشکّ فی عروبة الحکّام العرب المسـتبدّين الظـالمين الذين لا يهتمّون بالقضيّة الفلسطينيّة لذلک يری *الحسين(ع)* معلّمه الثوری الذی يُساعده کی يجهّز بالسلاح، وراح يحرّک وراء تأسيس حکم الفقراء والضـعفاء الـذی وعـده الله فـی محکم کتابه لأنّ الجداول الثوريّة التی عزّزت بواسطة نزيف الدماء، وتتصل بمعـين حادثـة عاشوراء تهزّ جبروت هؤلاء الحکّام وتکشف عن أقسام التعسّف والظلم طيلة التاريخ. فيـری النوّاب رأس *الإمام الحسين(ع)* ورأس الفسلطين رأساً واحداً للثورة الذی قُطع ويُحمل إلی قصر *يزيد*، لذلک يشکّ فی أن يکون حکّام العرب الذين لا يقفون بجانب الفلسـطين عربـاً لديهم الإباء العربی حينذاک يذکر ثانية حادثة عاشوراء، والتحقير والتشريد الذی واجههمـا أهل *الإمام الحسين(ع)* فی الشام بعد شهادته ويری بأنّ نفس الظلم يمارس ضـدّ الشـعب الفلسطينی المظلوم فی عصرنا الحالی:

«هَذا رَأسُ الثَّورَةِ يحمِلُ فِی طَبَقٍ فِی قَصرِ يزيدَ/ وَهذِی البُقعَةُ أکثَرُ مِن يَومِ سَـباياکَ/ فَيا للهِ وللحَاکمِ ورَأس الثَورَةِ!/هَل عَـرَبٌ أنـتمُ.../ وَيَزيـدُ عَلَـی الشُّـرفَةِ/ يَسـتعرِضُ أعـراضَ عَراياکُم/ وَيُوَزِّعُهُنَ کَلَحمِ الضَّأنِ لِجَيشِ الرِّدَةِ/ هَل عَرَبٌ أنتُم!/ وَاللهِ أنا فِی شَکٍ مِـن بَغـدادَ إلی جَدةَ»(النوّاب، ۱۹۹۶م: ۴۵۶)

وهكذا يرى *مظفر* كلّ الحكّام الظالمين الديكتاتوريين العرب يزيد العصر، لـذلک يـرى أنّ فى هذا العصر يحتاج إلى *الحسين(ع)* وسـيفه لقتـال الظلـم والديكتاتوريّـة(ميرزايـى، ١٣٨٣ش: ١).

فى اعتقاد *النوّاب*، *الإمام الحسين(ع)* معلّم المدرسة العالميّة للثورة وجميع الثـوّار هـم تلاميذ بين يديه حيث يقول فى قصيدة «الوقوف بين السموات ورأس الحسين»:

«قَد تَعَلَّمتُ منِکَ ثَباتِی، وقُوةَ حُزنِی وَحِيداً/ لَکَم کُنتَ يَومَ الطُّفُوفِ وَحِيـداً/ وَلَـم يَـکُ أشمَخَ مِنکَ/ وَأنتَ تَدُوسُ عَليکَ الخُيُولُ.../ مِن بَعيدٍ رَأيـتُ، ورَأسُـکَ کَـانَ يَحُـزُّ،/ حَريـقَ الخيامِ.../ فَأسدَلتَ جَفنَيکَ فَوقَ الحَريقِ حَناناً.../ فَدَمعُکَ کانَ خِتامَ النُّزُولِ»(النوّاب، موقـع صحيفة البيّنة الجديدة: ٢٠١١/١٢/٣)

يذكر *النوّاب* أنّه عندما يعبر رأس *الحسين(ع)* علـى الرمـاح مـن المـدن العراقيّـة تهـزّ الدماء المسيلة منه عروش الطواغيت والحكّام، لأنّ الرمح الـذى يحمـل رأس *الحسـين(ع)* نفس الرمح الذى يدخل على جنازة الدولة الأمويّة، هذا لأنّ الحسين(ع) معلّم ثورى يطلبه الثوّار فى مصائبهم وكوارثهم:

«وَکَم أنتَ تَعشِقُ رَأسَ الحُسَينِ الَّذِی فَوقَ رُمـحٍ.../ وَلا يَسـتَرِيحُ.../ تـأبَى الـذَّوائِبُ مُـذْ ثَبَّتَتهَا الدِّمَاءُ.../ عَلَى غَدِهِ أنْ تَزِيحَ.../ وَمَن ثَبَّتَته الدِّماءُ يَـزِيحُ؟!.../ دَعَوتُـکَ أنـتَ المعَلِّـمَ.../ وَإن کَانَ عَلَمٌ فَتِلکَ الجُرُوحُ/أَلُوفٌ وَرَاءَک فِی الدَرَبِّ سَارَتْ.../ لِيَنهَضَ شَیءٌ صَـحِيحٌ.../ فَمَـا نَامَ إلا الصَّحِيحُ.../ يُباهِی اليسارُ الصَّحِيحُ بِأنَّکَ فِی قُلَّةٍ قَدْ حَمَلْـتَ السِّـلاحَ.../ وَغَالَيـتَ فِـی مَبدَأٍ اسمُهُ سُلطَةُ الفُقَراءِ.../ وَهَذا غُلُوٌّ صَحِيحٌ»(يعقوب، ٢٠١٠م: ١٨۴)

«يرى *مظفر* فى هذا المقطع الشعرى *الإمام الحسين(ع)* معلّماً للثوّار ورمزاً لليسـاريين الحقّ الذين رفعوا السلاح على قمم الثورة والصـمود، وراحـوا يسـعون وراء تأسـيس حكـم الفقراء والمستضعفين. *النوّاب* وهو ماركسى يرى نهضة عاشوراء جوهرة ثمينة فـى سـبيل تأسيس حكم العدل والإنصاف هذا وعـاملاً للاحتفـاظ بحقـوق العمّـال والطبقـات الفقيـرة الكادحة للمجتمع»(أمين مقدّسى وشاهرخ، ١٣٩٥ش: ١٩). فى رؤية *النوّاب* لنضال هـؤلاء العظماء وأعمالهم البطوليّة هدف واحد وهو تأسيس مدينة فاضلة السلطة فيها بيد الفقـراء والطبقات الكادحة للمجتمع، وهذه رؤية *للنوّاب* ناتجـة عـن أفكـاره الماركسـيّة اليسـاريّة. لذلک يعتقد *النوّاب* أنّ اشتراكات بين ثورة *الإمام الحسين(ع)* لمقارعة الظلـم وبـين غيـره

من الثوّار الأحرار طوال التاريخ فی أقصی العالم، هو الصمود فی مبادئ التضحيّة والسعی وراء الإصلاح وإقامة العدل فلا ينحصر أداء هذا الدور فی *الإمام الحسين(ع)* بيد أنّ الإمام(ع) أحد هؤلاء الثوّار بل قدوتهم فی ذلک. يقول *النوّاب*:

«وَاحتَشَدَ الفَلّاحُونَ عَلَیَّ/ وَبَینَهُم کَانَ عَلیٌّ وأَبُوذَرٍّ.../وَالأَهوازِیُّ ولُومِمبَا/ أو جِیفَارا أو ماركسَ أو مَاو لا أَتَذَکَّرُ/ فَالثُّوَّارُ لَهُم وَجهٌ واحِدٌ فِی رُوحِی»(النوّاب، ۱۹۹۶م: ۴۹۶)

«وهكذا يشير *النوّاب* إلى الفلّاحين كی يعبّر عن أفكاره الماركسيّة الماويّة لأنّ فی عقيدته الثوّار كلّهم صورة واحدة وهی التركيز علی مبدأ رفض الأوضاع المأساويّة فی عصرهم ومقارعة الظلم والإستبداد. إذ الاختلاف بينهم فقط فی بعض الميول الفكريّة والعقائديّة أو بعض الأمور الناتجة عن الظروف البيئيّة والقوميّة»(أمين مقدّسی وشاهرخ، ۱۳۹۵ش: ۲۷).

۳.صحابة الرسول(ص)

أبوذر الغفّاری

أبوذر الغفّاری الصحابی الجليل للنبی(ص) والذی قال عنه النبی(ص): «رحم الله أباذر يمشی وحده ويموت وحده ويبعث وحده»(النعمان المغربی، لا تا ج ۲: ۱۶۸) كما قال عنه(ص): «ما أقلّت الغبراء ولا أظلّت الخضراء أصدق ذی لهجة من أبی ذر أشبه عيسی فی ورعه»(الهيثمی، ۱۹۹۲م، ج۷: ۱۶۸). فمن شخصيّات التراث الإسلامی التی استدعاها *النوّاب* فی شعره الصحابی الجليل *أبوذر*، فإنّه فی شعر *النوّاب* كما كان فی الواقع التاريخی الإسلامی يطرق باب *معاوية* الخليفة الأموية، فراح يذكره بالإسراف الذی يراه فی صرف أموال المسلمين فی الأمور التافهة مثل بناء القصور الضخمة والعيش الأرستقراطی للأمويين الذی لا ينبت بسُنّة النبی(ص) وسذاجة حياته بصلة، لذلک يذكر ذكرياته مع النبیّ(ص) وطريقة حياة الرسول(ص) الساذجة للناس، ويبشّر بالثورة بذكره الآية الكريمة: ﴿وَالذينَ يَكنزونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ ولايُنفِقُونَهَافِی سَبيلِ اللهِ فَبَشِّرهُم بِعَذابٍ أليمٍ﴾(التوبة/۳۴).

يذكر *النوّاب* *لأبیذر* دوراً ممتازاً فی تاريخ حياته ويذكر نفيه القسری إلى الشام وجبل عامل والربذة، مثلما كان *النوّاب* متشرّداً فی بلاد النفی والغربة لذلک يجبر *النوّاب* المتلقیّ أن يجسّد شخصيّة *أبیذر* فی باله بشكل مباشر، وما يقوم *أبوذر* فی قيادة ثورة الفقراء ضدّ

أهالى الكنز والترف والعطاء غير العادل فأضعف الحكام المستبدين، وقاد من منفاه الأخير ثورة شعبيّة ضدّ الطغيان والظلم وهذا الاستذكار المباشر لأحداث حياة *أبى‌ذر* كى يساوى بين تجربته الشخصيّة وتجربة *أبى‌ذر* حيث يقول:

«تَختَلِطَ الرِيحُ بِصَوتِ صَحابىٍّ/ يُقرِعُ بابَ مُعاوِيَةَ ويُبَشِّرُ بِالثَّورَةِ/ وَ يُضِيءُ اللَّيلَ بِسَيفٍ يُوقِدُ فى المهجَّةِ جَمرَةً»(النوّاب، ١٩٩٦م: ۴۵۴)

معاوية هنا فى هذا المقطع الشعرى، رمز للحاكم العربى المتخاذل أمام القضايا الرئيسيّة الهامّة للشعب العربى والذى يحكم الناس بالديكتاتوريّة ويعتبر عائقاً أمام حدوث الثورة وتحقق حريّة الشعب و*أبوذر الغفّارى* رمز للثورى الحقّ، لذلك يتقنع *النواب* بقناع *أبى‌ذر* ويرى نفسه *أباذر* العصر الحاضر الّذى نُفى وتشرّد وتحمّل المصائب والتعذيب فى سبيل رفع كلمة الحق ورفض الواقع المزرى الراهن. يريد *النوّاب* أن يذكر أعمال *أبى ذر* الإعلاميّة والثوريّة حيث يقود الشعب، ويجتمعهم فى مكة والمدينة ويتحدّث لهم عن رسول الله(ص) وأوامره للأمّة الإسلاميّة تجاه أهل بيته. ثمّ يحذّر *أبوذر* الخليفة الأموية من التبذير والظلم والتعدّى على بيت المال. فكان استدعاء *النوّاب* لشخصيّة هذا الصحابى الجليل أى *أبى ذر الغفّارى* من خلال الدور الذى قام به *أبوذر* مرة، ومن خلال ذكر إسمه بشكل مباشر مرّة أخرى.

وهنا استدعاه *النوّاب* بذكر دوره النضالى المقاوم حيث يذكر له دوراً بارزاً فى تاريخه بجعل القارئ يستدعى تلك الشخصيّة مباشرة.

يريد *النوّاب* إحياء مثل هؤلاء الأشخاص الذين لا تمنعهم لومة اللائم عن إرشاد الناس إلى سبيل الله، ودعوتهم إلى الحقّ لذلك يتحدّث عن ذكريات هؤلاء الأبطال وأحداث حياتهم، ويذكر نفى هذا الصحابى الجليل إلى صحراء ربذة ويرى نفسه *أبى‌ذر* العصر الحالى الذى ينتقل بين سجن الشاه الإيرانى والسجن العراقى الصحراوى بسبب مواقفه وأنشطته السياسيّة وقدوته فى ذلك *أبوذر الغفّارى* الذى نفى بسبب مواقفه النضاليّة:

«وَقُلتُ بقَلبى: إيّاک/ فَلِلشاعِرِ ألفُ جَوازٍ فى الشِّعرِ/ وَألفُ جَوازٍ لِلتَسلُّلِ إلى الأهوازِ/ يا قَلبى! فى عِشقِ الأرضِ جَوازى/ وَأبُوذَرٍ والحُسَينُ الأهوازىُّ/ وَأمّى والشيبُ مِن الدَّورانِ وَرائى/ مِن سِجنِ الشاهِ إلى سِجنِ الصَّحراءِ/ إلى المنفَى الرَبَذِى جَوازِى»(النوّاب، ١٩٩۶م: ۵۰۳)

يظهر هذا النصّ الشعری *للنوّاب* مدی تأثّره بشخصيّة *أبیذر الغفّاری* الصحابی الجليل وطريقة حياته الثوريّة حيث يراه حيّاً يناضل فی عصرنا الحالی ويُنفيه الحكام العرب من جديد فيقول:

«فَإنّی مِن أمَّةٍ تَتَفَجّرُ فی لَيلِها الصَّحراءُ/ وَلكن عَلی أُمَّةٍ حرّفت مُبدعيهَا غَشاء/ أباذَرٍ إنّا نَفَيناک ثانِيَةً»(نفسه: ١٥٦)

وهكذا يكون *أبوذر* فی فكر النوّاب الماركسی قائد ثورة اقتصاديّة يقوم بها الفقراء ففی «عروس السفائن». يفصح عن آرائه فيما يتعلّق بثورة *أبیذر* زمن الخلفاء الراشدين ويقول فی «عروس السفائن»:

«وَلكن عَلَی أمَّةٍ حَرّفَت مُبدعيهَا غِشاء/ أباذَرٍ إنَّا نَفيناک ثانِيَةً/ حِينَ قُلنا بمَحضِ الفجاجَةِ/ مِن غَير رُوحِک يبتدئُ الفُقَراءُ/ وَما كفَن قَد شَرطتَ وعِشتَ بِهِ فی الزَّمانِ/ فَناراً تُحاوِلُک العادياء/ سِوی أنَّ فائِضَ مالٍ رَفَضتَ/ وَشَرَّعتَ أنَّ الخَلائِقَ خَلقٌ سَواءٌ/ وَإنَّک فی الفِكرِ والرُّوحِ أصلٌ/ وَمِن معجِز الملتقی/ يَتَوَحّدُ فيک الثُری والفَضاءُ/ بَنيتَ بُيُوتاً مِن الوَهمِ والدَّمعِ/ أينَ هُو العِشقُ/ أينَ هُو العِشقُ/لَقَد تَمَّ البَناءُ»(نفسه: ٢٠٨)

لذلک يشوّه وجه التاريخ بنفی *أبیذر* لأنّه رمز الصحوة فی تراث الأمّة ومحطّة للإبداع المستمرّ فی التاريخ العربی الإسلامی حسب رأيه.

أبوموسی الأشعری

أبوموسی الأشعری صحابی رسول الله(ص) الذی كان له دور كبير فی تاريخ صدر الإسلام زمن خلافة *الإمام علی(ع)* لاسيّما فی حرب صفّين وحادثة رفع المصاحف علی الرماح والتحكيم، وما وقع بعد خدعه بحيل *عمرو بن العاص* والتفرقة بين جيش الإمام(ع) بعد هذه الحادثة الأليمة التاريخية والقصّة مشهورة لا تحتاج إلی مزيد من الإيضاح.

استدعی النوّاب *أبا موسی الأشعری* فی إطار شخصيّته التاريخيّة وعلی سبيل التناص الموازی، حيث لا يذكر من جميع ميزات الأشعری إلّا خاتمه الذی يرمز إلی حادثة صفّين حيث خُدع الأشعری بما دسّسه *عمرو بن العاص* من الحيل:

«فی غَابَةٍ/ مِن خِيالِ الحَشيشَةِ/ وَالجَعجَعةِ/ فَإن رَحّبَ البَحرُ بِالحَربِ/ أنزَلَت الأشرَعَةُ/ وَتَقرَعُ فِيها الطُّبُولُ/ فَفِيمَ الرِّهانُ/ عَلَی خاتِمِ الأشعَرِیِّ»(يعقوب، ٢٠١٠م: ٤٩)

النوّاب يعتقد بأنَّ الظروف غير مؤاتية لأنَّ الشعب رغم ترحيبهم بالحرب والقتال فى سبيل استعادة الكرامة بيد أنّ حكامهم لا يميلون إلى القتال، ويصدرون الأوامر إلى قوّاد الجيش بعدم الدخول إلى ساحة القتال، لذلک يشكو النوّاب هذا التخاذل ويسأل عن إلحاح الحكام على خاتم الأشعرى ومفاوضات السلام مع الكيان الصهيونى رغم أنه أثبت طوال السنوات أنّ المفاوضات لا تُجدى شيئاً لحصول الشعب الفلسطينى والعربى على حقوقهم الضائعة بل تزيدهم الخسارة والضرر والتنازلات أكثر فأكثر.

نتيجة البحث

فبعد دراسة مستقصية لاستدعاء شخصيّات التراث الإسلامى فى شعر *مظفر النوّاب* نستنتج النقاط التاليّة:

النوّاب رغم ماركسيّته لم يترک تراثه الإسلامى بل تأثّر به واستخدم رموزه، واستدعى شخصيّاته ووظّف رموز التراث الإسلامى فى أشعاره ولكنّه لم يتناول هذه الرموز تحت ميول مذهبيّة وطائفيّة بل تعرض هؤلاء العظماء من حيث مظلوميّتهم التاريخيّة، إذ يعتقد النوّاب أنّ الحالة السياسيّة للشعوب هى نفس تلک الحالة السياسيّة التى كانت فى عهد هذه الشخصيّات المستدعاة فهو يشكو إليها تلک الحال التى تعيشها الشعوب العربيّة.

استخدم *مظفر النوّاب* تقنية استدعاء التراث الإسلامى فى أشعاره ووظّف رموزه فى سبر الأحداث السياسية وقراءاتها على نحو يخدم منهجه فى الثورة، ورفض الواقع السياسى والإجتماعى المتردّى والتعبير عن نظريّاته السياسيّة فى المجتمع والحكم. إذ تأثّر *النوّاب* بالفكر الماركسى وله أنشطة سياسيّة نتيجة عضويّته فى الأحزاب الماركسيّة.

من الشخصيّات البارزة للتراث الإسلامى الذين استدعاهم *النوّاب* وقد استقصيناهم بشكل كامل فى هذا المقال فى محاور رئيسية وفرعية هم الأنبياء *محمّد رسول الله(ص)*، *وآدم النبىّ(ع)*، *وسليمان(ع)*، *وأيّوب(ع)*، *ويعقوب(ع)* وابنه *يوسف(ع)*، *ونوح(ع)*، *وزكريّا(ع)*، و *عيسى(ع)*. ومن صحابة الرسول(ص) *أبوذر الغفّارى*، *وأبوموسى الأشعرى*. *يُشير النوّاب* باستدعاء *النبىّ* محمّد وقصّة هجرته من مكة إلى المدينة فى إشارة إلى المعاناة التى تحمّلها محمّد*(ص)* وأصحابه لتثبيت دعائم الدين الإسلامى. كما يرمز باستذكار *آدم النبى(ع)* الإشارة إلى قصّة خروجه مع زوجته حواء من الجنّة، وندامته ممّا اقترفه فى أكل

الثمرة الممنوعة وطرده من الجنّة عقاباً لهذه المعصيّة. يستفيد من استدعاء شخصيّة *سليمان النبی(ع)* وهُدهُده الشهير فی سبيل تعزيز آراءه فيما يتعلّق بظروف المجتمعات العربيّة الراهنة، ولاسيّما حقوق المرأة على سبيل التناص المعكوس حيث هُدهُد *سليمان* خلافاً لما نراه فی الأصل الموروث التاريخی والذی كان يأتی بالخبر اليقين *لسليمان(ع)*، يعتبر الآن كأنّه امرأة بغيّاً تريد الدفاع عن حقوق البُغاء ثمّ يشير إلى قدرة *سليمان النبی(ع)* على جميع الإنس والجنّ ويجعل *لسليمان النبی(ع)* شخصيّة سلبيّة عندما يستدعيه كقائد للصهاينة الذين يدوسون الشعب الفلسطينی المظلوم تحت آلاتهم العسكرية المدمّرة.

النوّاب الذی هو من داعمی الكفاح المسلّح يهجم على صبر *أيّوب* فی تناصّ معكوس ويستدعيه على خلاف الموروث الإسلامی، كأنّه رجل مستسلم يقبل الظلم ويتعذّر بالصبر كذريعة للهروب من المقاومة، كأنّه شبيه بالعرب فی يومنا هذا، الذين يقبلون استبداد حكامهم وجرائم الاحتلال الصهيونی ولا يشاركون فی الكفاح المسلّح المقدّس دفاعاً عن مقدّساتهم الإسلامية والوطنيّة.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

بدوی، عبدة. ۱۹۹۸م. **نظرات فی الشعر العربی الحديث**، د.ط، لا مک: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

بن مزاحم، نصر. ۱۹۹۰م، **وقعة صفيّن**، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، بيروت: دار الجيل.

عشری زايد، علی. ۱۹۹۳م، **بناء القصيدة العربيّة الحديثة**، مكتبة النصر، ط۳، القاهرة: حرم الجامعة.

العقّاد، عباس محمود. لا تا، **عمرو بن العاص**، د.ط، القاهره: دار نهضة مصر للطبع والنشر.

مشوّح، وليد. ۱۹۹۹م، **الموت فی الشعر العربی السوری المعاصر من ۱۹۵۰ إلی ۱۹۹۰**، د.ط، دمشق: اتّحاد الكُتّاب العرب.

مطلوب، أحمد. ۲۰۰۴م، **فی الشعر العربی الحديث**، بغداد: دار الشؤون الثقافيّة العامة.

ناهم، أحمد. ۲۰۰۴م، **التناصّ فی شعر الروّاد**، ط۱، بغداد: دار الشؤون الثقافيّة العامة.

النعمان المغربی، القاضی. لا تا، **شرح الأخبار**، ج۲، قم: مؤسسة النشر الإسلامی.

النوّاب، مظفر. ۱۹۹۶م، **الأعمال الشعريّة الكاملة**، ط ۱، لندن: دار قنبر.

وتار، محمد رياض. ۲۰۰۲م، **توظيف التراث فی الرواية العربية المعاصرة**، ط۱، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

الهيثمی، نور الدين علی بن أبی بكر. ۱۹۹۲م، **موارد الظمآن**، ج۷، ط۱، لا مک: دار الثقافة العربية.

يحيی، أحلام. ۲۰۰۵م، **مظفر النوّاب سجين الغربة والاغتراب**، دمشق: دار نينوی.

يعقوب، أوس داوود. ۲۰۱۰م، **مظفر النوّاب شاعر الثورات والشجن، قصائد تُنشر لأوّل مرّة**، ط ۱، دمشق- سوريا: صفحات للدراسات والنشر.

المقالات

أمين مقدّسی، ابوالحسن ومهدی شاهرخ. بهار و تابستان ۱۳۹۵ش، «**امام حسين اسوه پايداری در اشعار مظفر النوّاب**»، مجله ادبيات پايداری دانشگاه شهيد باهنر كرمان، دوره ۸، شماره ۱۴، صص ۱-۲۸.

آباد، مرضية وبلاسم محسنی. ۱۳۹۰ش، «**التناصّ القرآنی فی شعر مظفر النوّاب**»، فصليّة اللسان المبين (بحوث فی الأدب العربی)، السنة الثالثة، المسلسل الجديد، العدد الخامس.

باقری، بهنام و جهانگير اميری وهادی جاهد. خريف ۱۳۹۳ش، «**استخدام الرموز فی شعر يحيی السماوی**»، مجلة دراسات الأدب المعاصر، السنة السادسة، العدد۲۳، صص۹-۲۶.

جمشیدی، فاطمه وحسین کیانی. صیف ۱۳۹۶ش، «**جمالیات استدعاء الشخصیات التراثیة فی قصائد علی فودة**»، مجلة دراسات الأدب المعاصر، السنة التاسعة، عدد ۳۴، صص ۸۱-۱۰۶.

سیاحی، صادق و فرحان گل مغانی زاده. شتاء ۱۳۹۳ش، «**التناص القرآنی فی شعر فدوی طوقان**»، مجلة دراسات الأدب المعاصر، السنة السادسة، عدد ۲۴، صص ۲۷-۴۶.

عطیّة، لؤی کریم. ۲۰۰۵م، «**التناصّ فی شعر مظفر النوّاب**»، مجلة کلیّة تربیة المثنی جامعة القادسیّة، المجلّد الثامن، العددان: ۳-۴.

المخزومی، صادق. ۲۰۰۹م، «**الرمز الدینی فی شعر مظفر النوّاب**»، مجلّة القادسیة فی الآداب والعلوم التربویّة، المجلّد ۸، العدد۲، صص ۳۱-۴۹.

موشی، سامی کریم. ۲۰۱۱م، «**سیمائیّة العنوان والشخصیّة التراثیّة فی شعر مظفر النوّاب، الوتریّات اللیلیّة اختیاراً**»، مجلّة آداب ذی قار، جامعة ذی قار، کلیّة الآداب، العدد ۴، المجلّد۱.

میرزایی، فرامرز. زمستان ۱۳۸۳ش، «**قیام امام حسین(ع) و شعر معاصر عربی**»، فصلنامه علمی پژوهشی علوم انسانی دانشگاه الزهراء(س)، سال چهارم، شماره ۵۲.

النوّاب، مظفر. «**قصیدة الوقوف بین السموات ورأس الحسین**»، صحیفة البیّنة الجدیدة(تاریخ النشر: ۲۰۱۱/۱۲/۳- التصفح فی۲۰۱۶/۴/۲۹) موقع "صحیفة البیّنة الجدیدة" عبر: http://albayyna-new.com/news.php?action=view&id=4368

Bibliography

The Holy Quran

Abad, Marzieh and Balasem Mohseni. (2011) «Quranic intertextuality in the poetry of Muzaffar Nawab». Lesanol Al-Mobin magazine, (research in Arabic literature). Vol.3, The new series. No. 5.

Al-Haythami, Nur al-Din Ali ibn Abi Bakr, (1992) Mavaredol-dhaman. Arab Culture House.

Al-Nawab, Muzaffar. (1996) Complete poetic works. Lobnan: Dar Al-Qanbar.

Al-Nawab, Muzaffar. «A poem to stand between the heavens and the head of Hussein». New Evidence Newspaper. (Published Date: 3/12/2011). (Visit at 29/4/2016) The site of the new evidence through: http://albayyna-new.com/news.php?action=view&id=4368

Alnoman Al-maghrebi, Alghazi. explain the news. Qom: Islamic Publishing Foundation.

Amin Maghadasi, Abulhassan and Mehdi Shahrokh. (2016) «Imam Hussein: Oswah of peoseverance in Poetry by Muzaffar al-Nawab». Literature of Resistance magazine. Course 8, No. 14, PP. 1-28.

Aqqad, Abbas Mahmoud. (No Vol.) Amr ibn al-Aas. Cairo: Egypt Darnahda Printer and Publisher.

Attia, Louay Karim. (2005). «Intertextuality in the Poetry of Muzaffar al-Nawab» Journal of the Faculty of Education in Muthanna University of Qadisiyah. Volume 8. No. 3-4.

Badavi, Abdeh. (1998) Looks at Modern Arabic Poetry. Darol-Quba Publications and distribution.
Bagheri, Behnam, Jahangir Amiri, Hadi Jahed, (2014), "The Use of Symbols in the poems of Yahya al-Samawi", Journal of Contemporary Literature Studies, Vol.6, no.23, pp. 9-26
Bin Muzahim, Nasr. (1990) The Seffein War. Investigation and explanation: Abdul Salam Mohamed Haroun. Beirut: Dar Al-Jeel.
Eshri Zayed, Ali. (1993) The Structure of Modern Arabic Poetry. Alnasr Library. Cairo: University Campus.
Jamshidi, Fatimeh and Hussein Kayani, (2017), « Aesthetics of Representing traditional figures in the poems of Ali Fouda», Journal of Contemporary Literature Studies, Vol. 9, no. 34, pp: 81-106
Makhzoumi, Sadegh. (2009). «Religious symbols in the poetry of Muzaffar Nawab». Qadisiyah Journal of Arts and Educational Sciences. vol. 8, no. 2, PP: 31-49.
Matlub, Ahmed. (2004) About the Modern Arabic Poetry. Baghdad: House of Public Cultural Affairs.
Mirzai, Framarz. (2005), «Imam Hussein and contemporary Arab poetry», Alzahra University Quarterly of Humanities Research. Vol.4, no. 52.
Moshavah, Walid. Death in Contemporary Syrian Arab Poetry from 1950 to 1990. Damascus: Union of Arab Writers.
Mosha, Sami Karim. (2011). «The semiotics of the title and the heritage personality in the poetry of Muzaffar Nawab, the Case of Night Lyrics». Dhi Qar University Journal of Arts. University of. college of Literature. No. 4, Vol. 1.
Nahem, Ahmed. (2004) Intertextuality in Avant-Gard. Baghdad: House of Public Cultural Affairs.
Sayyahi, Sadeq, Farhan Golmoghanizadeh, (2015), «Quranic Intertextuality in the Poetry of Fadavi Touqan», Journal of Contemporary Literature Studies, Vol. 6, No. 24, PP: 27-46
Wattar, Mohamed Riadh. (2002) The use of tradition in the contemporary Arabic novel, Damascus: Union of Arab Writers.
Yaghub, Aws Davood. (2010) Muzaffar al-Nawab is the poet of revolutions and Sorrow, poems published for the first time. Damascus: Safahat Studies and Publishing.
Yahia, Ahlam. (2005) Muzaffar Al-Nawab prisoner of alienation and Foreigness. Damascus: Dar Al-Ninava.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی